معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس القواعد المثلى

شرح الشيخ علي الرملي حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (8)

التاريخ: الخميس 07/ذو الحجة/1440 هـ

08/أغسطس(آب)/2019 م

الفصل الثاني: قواعد في صفات الله تعالى

قال المؤلف رحمه الله:

(القاعدة الأولى:

صفات الله تبارك وتعالى كلّها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه)

يعني: أنّ صفات الله سبحانه وتعالى لا يتطرق إليها النقص أبداً، بأي وجه من الوجوه، فمهما تصورت أنت من احتمالية للنقص من جهة دون جهة؛ فلا يمكن أن تصل إلى أنّ النقص يتطرق إلى صفات الله سبحانه وتعالى أبداً؛ كصفة **السمع** مثلاً؛ صفة لله تبارك وتعالى، لم تُسْبَقْ بنفي لهذه الصفة عن الله سبحانه وتعالى، ولا يلحقها ضعف ولا ذهاب أصلاً لكمالها، وهي صفة تامة كاملة فيسمع الله سبحانه وتعالى كلّ شيء، سواء كان الصوت مرتفعاً أو منخفضاً، قريباً أم بعيداً؛ فهذا معنى كونها صفة كمال، ومعنى كونها لا يتطرق إليها النقص بوجه من الوجوه، وكذلك جميع الصفات كصفة الحياة أيضاً، فصفة الحياة صفة كمال لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء؛ حياة تامة كاملة، وهكذا جميع صفات الله سبحانه وتعالى.

والمخلوق يتصف بصفات لكنّ هذه الصفات لا تكون صفات كمال، فيتصف بصفة السمع مثلاً؛ لكنّ هذه الصفة قد سبق وأن لم تكن موجودة عنده، ثم بعد ذلك يلحقها ضعف؛ بل ربّما يلحقها ذهاب؛ حتى تذهب صفة السمع ويصير صاحبها أصماً.

كذلك هي ناقصة؛ بحيث إنّه لا يستطيع أن يسمع كلّ شيء؛ إنما يسمع الأشياء التي هي قريبة منه، ويسمع الصوت المرتفع، ولا يسمع الصوت المنخفض؛ وهكذا، فصفة الإنسان صفة نقص وليست صفة كمال بخلاف صفة الله سبحانه وتعالى؛ هذا معنى أنّ صفات الله تبارك وتعالى كلّها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

قال المؤلف رحمه الله: (كالحياة، والعلم)

أي: صفة الحياة، وصفة العلم.

قال: (والقدرة، والسمع، والبصر، والرّحمة، والعزّة، والحكمة، والعلوّ، والعظمة، وغير ذلك)

ما الدليل على أنّ صفات الله سبحانه وتعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه؟

قال: (وقد دلّ على هذا: السمع، والعقل، والفطرة)

ويعني **بالسمع: القرآن والسنة.**

والفطرة: يعني ما خُلِقَ الإنسانُ عليه من أمورٍ يعلمها من بدايته: فطره الله سبحانه وتعالى على معرفة هذا الشيء؛ فلا يحتاج إلى تعلمه.

قال المؤلف رحمه الله: (أمّا السمع: فمنه: قوله تعالى: {للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السَّوْء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم}[1])

هذا هو الدليل من السمع على أنّ صفات الله سبحانه وتعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

قال المؤلف رحمه الله: (والمَثَلُ الأعلى: هو الوَصْفُ الأعلى)

وصف أعلى: يعني وصف كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه، والمثل الأعلى هو الذي لا شيء فوقه.

فالمثل الأعلى يعني: الوصف الأعلى، فكلّ صفة اتصف الله سبحانه وتعالى بها؛ فهي أعلى ما تكون من صفات الكمال.

قال المؤلف: (وأمّا العقل: فوجهه أنّ كلّ موجودٍ حقيقةً، فلا بدّ أن تكون له صفة؛ إمّا صفة كمالٍ وإمّا صفة نقصٍ)

كلّ موجود حقيقةً؛ فلا بدّ أن تكون له صفة، والموجودات كلّها لها صفات؛ إمّا أن تكون هذه الصفة صفة كمال أو صفة نقص.

قال: (والثاني باطلٌ بالنسبة إلى الرّب الكامل المستحق للعبادة)

بما أنّه ربّ خالق رازق مدبر وأنّه هو الذي يستحق العبادة؛ إذاً فلا يليق به إلّا الكمال.

---

[1]-[النحل:60]

قال: (ولهذا أظهر الله تعالى بُطْلانَ أُلوهيَّة الأصنام باتصافها بالنَّقْصِ والعَجْزِ)

يعني: عندما بيَّنَ الله سبحانه وتعالى أنّ الأصنام التي يعبدها المشركون باطلة وليست آلهة؛ بيّن ذلك بأنَّها تتَّصِف بصفة النقص؛ فدلّ ذلك على أنّ الرّب تبارك وتعالى لا يتصف بصفة النقص.

قال: (فقال الله تبارك وتعالى: {ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون}[1])

يعني: من أعظم وأكثر ضلالاً من شخص يعبد غير الله تبارك وتعالى ممن لا يستطيع أن يجيب دعاءه، فلو بقي يدعو إلى يوم القيامة؛ ما استطاع هذا الشيء أن يجيب دعاءه؛ ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾؛ لا يدرون عنهم ولا عن دعائهم؛ هم في غفلة عن دعائهم؛ فهذا نقص في آلهتهم؛ إذ إنّها غير قادرة على أن تستجيب دعاءهم؛ بل هم في غفلة عن دعائهم؛ وهذا لا يكون في حقّ إلهٍ يُعبد وهو خالق السماوات والأرض.

قال: (وقال تعالى: {والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيّان يبعثون }[2])

إذاً هذه صفة نقص فيهم؛ أنّهم غير قادرين على الإيجاد من العدم؛ بل هم في أنفسهم كانوا عدماً ثم أُوجدوا؛ فهذا نقصٌ في حقّهم، ولا يدرون عن أنفسهم متى سيبعثون.

قال: (وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: {يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً}[3])

يعني: لا يكون الإله الذي يستحق العبادة لا يسمع ولا يبصر؛ لا يراك ولا يسمعك عندما تدعوه كي يستجيب لك، هذا نقص في حقّه، والناقص لا يكون إلهاً.

(ولا يغني عنك شيئاً)؛ لا ينفعك ولا يضرك.

---

[1]-[الأحقاف:5]

[2]- [النحل:20،21]

[3]- [مريم:42]

قال: (وعلى قومه: {أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون})

يعني: يحتج إبراهيم عليه السلام على قومه بقوله: ﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾؛ فالإله لا بد أن يكون كاملاً في صفاته قادراً على النفع، قادراً على الضرّ، قادراً على أن يسمعك وأن يبصرك وأن يحفظك وأن يجيب دعاءك؛ هذا هو الإله الذي يستحق أن يُعبد، هو قادر على كلّ شيء، سميع بصير متصف بصفات الكمال؛ ها هنا يستدل الله تبارك وتعالى، واستدل إبراهيم عليه السلام على أنّ الآلهة هذه لا تصلح أن تكون آلهة بنقصها؛ لأنّها تتصف بصفات النقص لا بصفات الكمال؛ فدلّ ذلك على أنّ الرّب تبارك وتعالى يجب أن يتصف بصفات الكمال.

قال: (ثم إنّه قد ثبت بالحسِّ والمُشاهدة أنّ للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى؛ فمُعطي الكمال أولى به)

المقصود بالحسّ: الرؤية أو السمع أو غير ذلك من أحاسيس الإنسان.

والمشاهدة؛ يعني: قد رأينا أنّ المخلوق قد يتَّصِفُ بصفات الكمال؛ من أين له صفات الكمال هذه؟

الله سبحانه وتعالى أعطاه إياها، فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذي أعطى الكمال؛ فهو أحقّ بالكمال.

قال المؤلف: (وأمّا الفطرة: فلأنّ النُّفوسَ السليمة مَجْبولَةٌ مفطورةٌ على محبة الله وتعظيمه وعبادته؛ وهل تحبّ وتعظم وتعبد إلّا من علِمَت أنّه مُتَّصِفٌ بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟)

أي: حتى فطرة الإنسان؛ ما جُبِلَ عليه الإنسان، يعلم من خلاله أنّ الذي يُعْبَدُ لا بُدَّ أن يكون مُتَّصفاً بصفة الكمال، وهو مجبول على محبّة الله وعلى تعظيمه وعلى عبادته، وهو لا يحب ولا يعظم إلّا من اتصف بصفات الكمال؛ هذا معنى كلام المؤلف.

قال المؤلف رحمه الله: (وإذا كانت الصِّفة نقصاً لا كمال فيها؛ فهي ممتنعة في حق الله تعالى؛ كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها لقوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى

الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ}[1]).

يعني من خلال ما قررنا في القاعدة أنّ الله سبحانه وتعالى يستحق صفات الكمال، وأنّ صفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه أو في سنّة رسوله ﷺ صفات كمال كلّها لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ بناء على ذلك تعلم أنّ أيّ صفة نقصٍ فلا تثبت لله؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يليق به إلّا صفات الكمال، فصفة العجز مثلاً لا تثبت لله لأنّها صفة نقص، وصفة النوم لا تثبت لله؛ لأنّها صفة نقص، السِّنَةُ كذلك لا تثبت لله؛ لأنّها صفة نقص، الجهل، الموت، النسيان، إلى آخره؛ كلّ هذه الصفات لا تثبت لله؛ لأنّها صفات نقص لا كمال فيها البتة؛ لذلك تُنفى عن الله سبحانه وتعالى.

هذه القاعدة مهمة جداً، لكن مهم أيضاً أن تفهم قاعدة ستأتي بعد هذه القاعدة إن شاء الله **وأنّ ما أثبته الله لنفسه في الكتاب والسّنة فكلّه صفات كمال لا نقص فيه البتة، وإن توَهَّمَ عقْلُكَ أنّها صفات نقص؛ فإنما الوهم من عقلك، والخطأ من عقلك**؛ هذه عقيدة أهل السّنة والجماعة، خلافاً للعقلانيين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والكلّابيّة والماتريدية؛ كلّهم أصلهم واحد؛ عندهم أنّ العقل هو الذي يحكم على الصفة أنّها صفة كمال أو صفة نقص، فإذا جاء في القرآن إثبات صفة ترى عقولُهم أنّها صفة نقص يحرّفونها ولا يقبلونها، لا يثبتونها أيضاً؛ فالعقل مقدّم في حكمه على النقل؛ هذه قاعدة اشترك فيها المتكلمون جميعاً، وكانت أصل ضلالهم؛ العقل عندهم هو الذي يحكم على صفات الله أهي صفات كمال أم صفات نقص، فإذا حكم عليها العقل؛ نظروا في القرآن، إن جاءت في القرآن أو في السّنة مثبتة لله؛ كفروا بها وجحدوها، وأنكروها، وردوها، فبعضهم يرُدُّها صراحة، فكفر بها، وبعضهم ردّها تأويلاً؛ والصواب أن يُسمى تحريفاً حقيقةً؛ فقد حرّف دليلها كي لا يثبتها.

والمهم أن تفهم الآن أنّ هذا فارق وفاصل عظيم بين أهل السّنة وبين المتكلمين؛ ففي هذه القاعدة التي معنا يُقِرّون أنّ صفات الله سبحانه وتعالى كلّها صفات كمال؛ يُسلِّمون لنا بهذا، وأنّ صفات النقص لا تليق بالله سبحانه وتعالى، لكننا نفترق معهم فيما سيأتي إن شاء الله؛ في أنّه من الذي يحدد الصفة هل هي صفة كمال أم صفة نقص؟

---

[1]- [الفرقان:58]

العقول السليمة لا يمكن أن تتعارض مع النصوص الصحيحة، لكن هناك عقول خَرِبَة، والدليل على ذلك أنّ أصحاب العقول الذين يدّعون أنّهم أصحاب عقول وأنّهم يَحكمون على الله بعقولهم؛ يضطربون، فالأشاعرة يُثبتون صفات لله سبحانه وتعالى لا يثبتها المعتزلة، والمعتزلة يُثبتون أسماء من أسماء الله سبحانه وتعالى لا يُثبتها الجهمية، الماتريدية يُثبتون ما لا يُثبته الأشاعرة، وهم في تخبط وفي ضياع ومتاهة، الأشاعرة أنفسهم تجد منهم من يثبت صفات ينفيها غيره، ثم يقول لك العقل هو الحاكم، والعقل دلالته يقينية، أين اليقين في هذا؟!

وهذا حالُ كلِّ من ابتعد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لا بد أن يقع في الاضطراب والتخبط وفي الضياع والتيه، منهج السلف منهج واضح صريح، طريق مستقيم لا اعوجاج فيه أبداً، ومن سلكه عن علم لا يشكّ في أنّ هذا الطريق هو الطريق الحقّ، ولا يتخبَّط ولا يضطرب.

نرجع إلى ما قاله المؤلف رحمه الله؛ قال: (**وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها؛ فهي ممتنعة في حقّ الله تعالى، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، لقوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ}**[1])؛

فقد نفى عن نفسه الموت وأثبت لنفسه الحياة.

قال: (**وقوله عن موسى: {فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}**[2])

فنفى عن نفسه الضلال والنسيان؛ فهي صفات منفية.

قال: (**وقوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ}**[3])

نفى عن نفسه العجز؛ لكمال قدرته؛ فالعجز صفة نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه؛ لذلك نفاها عن نفسه.

وكلّ صفة ينفيها الله سبحانه وتعالى عن نفسه؛ فيُثبَت له كمال الضد؛ العجز ضده القدرة، فلمّا نفى عن نفسه العجز؛ فنثبت له كمال القدرة تبارك وتعالى، نفى عن نفسه الموت؛ لكمال

---

[1]- [الفرقان:58]

[2]- [طه:52]

[3]-{فاطر:44]

حياته تبارك وتعالى، وسيأتي إن شاء الله الحديث عن هذه القاعدة؛ وهي أنّ كلّ صفة منفية فيثبت كمال ضدها.

قال: (وقوله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}[1])

نفى عن نفسه عدم السماع لكمال سمعه تبارك وتعالى.

قال: (وقال النبي ﷺ في الدجال: " إنّه أعور، وإنّ ربّكم ليس بأعور"[2])

العور: ذهاب إحدى العينين؛ وهو نقص؛ فكيف يكون ربّ وأعور لا يستطيع أن يُصلح عينه؟

لماذا ذكر النبي ﷺ هذه الصفة للدجال؟

لأنّه يدّعي الربوبية، فلو كان ربّاً بحقّ؛ فلماذا لا يُصلح عينه العوراء، فهو نقص فيه لا يستطيع أن يكمله.

ثم كيف تطرَّقَ هذا النقص إليه وهو يَدَّعي الربوبية؟ فالرّب لا نقص فيه أبداً.

قال: (وقال: "أيها الناس ارْبَعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً[3]")

الأصم: الذي لا يسمع.

فنفى الصمم عن الله؛ لكمال سمعه تبارك وتعالى، ولا غائباً: فهو حاضر دائماً لا يغيب.

قال المؤلف رحمه الله: (وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص)

لأنّ النقص لا يليق به، ومن وصفه بالنقص؛ فإنه لم يعطِه قدره تبارك وتعالى، فلم يُقدّر الله حقّ قدره، فارتكب إثماً عظيماً؛ فلذلك عاقبه الله سبحانه وتعالى.

قال المؤلف: (كما في قوله تعالى: {وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء}[4])

مغلولة: أي يد الله مغلقة؛ كناية عن البخل؛ لا يعطي، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿غلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا﴾؛ لأنّهم قالوا على الله الكذب، فوصفوه بصفة البخل وهي صفة نقص، فقال: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾؛ أثبت لنفسه الكرم والعطاء وكثرته، فبدل أن يستعمل

---

[1]- [الزخرف:80]

[2]- أخرجه البخاري (3337)، ومسلم (169) عن ابن عمر

[3]- أخرجه البخاري (2992)، ومسلم (2704) عن أبي موسى

[4]- [المائدة:64]

اليد التي استعملوها؛ استعمل اليدين، فباليدين يكون العطاء أكثر، ولو كان له أكثر من يدين لاستعمل ذلك.

وهذا يدلّ على أنّ لله تبارك وتعالى يدين اثنتين، فالمقام مقام تكثير، كي يبين أنّه كثير العطاء، فلمّا لم يستعمل إلّا اليدين؛ دلّ ذلك على أنّه ليس له إلّا يدان اثنتان.

وأنّه كثير العطاء تبارك وتعالى، وأنّه عظيم الكرم.

والشاهد أنّه قال: ﴿غُلّت أيديهم﴾.

وقد قال سبحانه وتعالى في اليهود هذا؛ والآن تجد الشحّ والبخل فيهم أعظم ما يكون، فهذا القول من ربّ العزّة تبارك وتعالى لا من غيره؛ فتجد عندهم شحّاً وبخلاً لا تجده عند غيرهم.

فقوله: ﴿غُلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾؛ فلعنهم الله؛ أي طردهم من رحمته، وجعلهم أهل شحّ وبخل؛ عاقبهم لأنّهم وصفوه بالنقص، وأثبت لنفسه الكمال تبارك وتعالى.

وقوله: **{لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حقّ ونقول ذوقوا عذاب الحريق}**[1])

وصفوا الله سبحانه وتعالى بالنقص، بالفقر؛ ما عنده شيء يعطيه؛ هذا معنى الفقير، وهم أغنياء.

سبحان الله! ما أدري كيف يتكلم بشر بمثل هذا الكلام؟! أين عقول هؤلاء؟ كلّ ما أنت فيه من خير ونعيم من الله سبحانه وتعالى؛ ثم تدّعي الغنى لنفسك والفقر لله سبحانه وتعالى؟! سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

فسيعذبهم الله تبارك وتعالى على قولهم هذا وعلى قتلهم للأنبياء؛ فقد كان اليهود يقتلون الأنبياء، وهم الذين وصفوا الله بالفقر ووصفوه بالبخل؛ ما بال هؤلاء القوم؟! عجيب أمرهم، سبحان الله.

---

[1]- [ال عمران: 181]

قال المؤلف: (**ونزّه نفسه عمّا يصفونه به من النقائص؛ فقال سبحانه: {سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين}**[1])

﴿سبحان﴾: كلمة تنزيه، ينزّه الله سبحانه وتعالى نفسه عن كلّ نقص.

﴿وسلام على المرسلين﴾، سلّم على المرسلين؛ لأنّ المرسلين يصفونه بالكمال، فلذلك سلّم عليهم.

ونزّه نفسه عمّا يصفه به المبطلون؛ فقال: ﴿والحمد لله ربّ العالمين﴾.

قال: (**وقال تعالى: {ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إلهٍ بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون}**[2])

فنزّه نفسه أيضاً عمّا يصفه به الكافرون من الولد وغيره.

انتهينا من الجزء الأول؛ وهو أن تكون الصفة صفة كمال؛ فهذه تثبت لله تبارك وتعالى، والجزء الثاني؛ أن تكون الصفة صفة نقص؛ وهذه تنفى عن الله سبحانه وتعالى، وبقي عندنا النوع الثالث؛ وهو أن تكون الصفة كمالاً في حال ونقصاً في حال آخر.

قال المؤلف رحمه الله: (**وإذا كانت الصِّفَةُ كمالاً في حالٍ ونقصاً في حال؛ لم تكن جائزةً في حقّ الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق**)

يعني لا تجوز لله بإطلاق، ولا تُنفى عنه بإطلاق؛ إنّما تثبت له في حالٍ وتنْفى عنه في حال آخر؛ كما سيأتي التمثيل به إن شاء الله.

قال: (**فلا تَثْبُتُ له إثباتاً مطلقاً، ولا تُنْفى عنه نفياً مطلقاً**)

فلا تقول مثلاً: الله سبحانه وتعالى ماكر، ولا تنفي عنه سبحانه المكر مطلقاً؛ فلا تقل الله لا يمكر؛ أي: لا تقول: الله ماكر؛ وتسكت هكذا مطلقاً، ولا تقول: الله لا يمكر هكذا مطلقاً وتسكت؛ لا؛ بل لا بد من تقييد؛ فبماذا تُقَيِّد؟

---

[1]- [الصافات:180-182]

[2]- [المؤمنون:91]

قال رحمه الله: (**بل لا بد من التفصيل؛ فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع؛ ونحوها؛ فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها**)

يعني: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[1] صفة المكر وحدها هكذا بإطلاق نقص، عندما تقول في شخص مثلاً: فلان ماكر؛ هذا نقص؛ لكن إذا قلت فلان يمكر بمن يمكر به؛ فهنا لا تكون نقصاً؛ لأنّها تدلّ على الكمال؛ تدلّ على كمال القدرة؛ فهو قادر على أن يردَّ مكر الماكر وأن يمكر به كما مكر؛ فهذه تدلّ على كماله.

إذاً إذا وصفته بالمكر مطلقاً فقلت: فلان ماكر؛ فقد وصفته بالنقص، أمّا إذا قلت: فلان يمكر بمن يمكر به؛ فتكون صفة كمال، تدلّ على كمال قدرته، وهذا في حقّ الله سبحانه وتعالى من باب أولى؛ تقول الله سبحانه وتعالى يمكر بمن يمكر، يكيد بمن يكيد، يخدع من يخدع؛ هذا معنى التفصيل الذي ذكره المؤلف هنا، فإذاً لا تُطلق؛ تقول: الله يخادع، أو يمكر أو يكيد؛ هذا إطلاق لا يصح، ولا تطلق النفي أيضاً؛ فتقول: الله لا يمكر، أو: لا يكيد، أو: لا يخدع؛ هكذا بإطلاق؛ لا، لابدّ من التفصيل على ما ذكر المؤلف هنا.

وقوله: (**فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها**)؛ يعني: فاعل المكر إذا قابل الماكر الذي أراد أن يمكر به بالمكر؛ ففعله هذا كمال وليس نقصاً، يمكر بمن يمكر به، فكان مكره في مقابلة مكر الماكرين به، وهذا المكر كمال وليس نقصاً، أمّا إذا كان ابتداءً منه؛ فهذا يكون نقصاً.

قال: (**لأنّها حينئذٍ تدلّ على أنّ فاعلها قادرٌعلى مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشدّ**)

فتدلّ على كمال القدرة.

قال: (**وتكون نقصاً في غيرهذه الحال؛ ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق**)

ما ذكر الله سبحانه وتعالى: (يمكر) أو (ماكر)؛ مطلقاً.

---

[1]- [الأنفال:30]

قال: (وإنّما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها؛ كقوله تعالى: {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين}[1]، وقوله: {إنّهم يكيدون كيداً وأكيدُ كيداً}[2]، وقوله: {والذين كذّبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إنّ كيدي متين}[3])

يحاولون أن يكيدوا ويمكروا ويخادعوا أنبياءه ورسله؛ فالله سبحانه وتعالى يردّ عليهم ذلك.

قال: (وقوله: {إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم}[4])

يحاولون أن يمكروا ويكيدوا بالله تعالى ويخدعوه؛ فهو يمكر بهم ويخدعهم ويكيد بهم.

قال: (وقوله: {قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم}[5]) .

فهذه صفة الاستهزاء، لا يُقال بأنّ الله يستهزئ ببعض خلقه؛ لكن من استهزأ؛ استهزأ الله به، وهذا كمال قال المؤلف.

قال: (ولهذا لم يذكر الله أنّه خان من خانوه)

لأنّ الخيانة نقص في جميع الأحوال.

قال: (فقال تعالى: {وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم}[6]، فقال: {فأمْكَنَ منهم}، ولم يقلْ: فخانهم؛ لأنّ الخيانة خدعة في مقام الائتمان؛ وهي صفة ذَمٍّ مُطلقاً)

فالخيانة صفة نقص دائماً حتى لو كانت في مقابلة خيانة.

قال: (وبذا عُرِفَ أنّ قول بعض العوام: (خان الله من يخون)؛ منكرٌ فاحشٌ؛ يجب النهي عنه)

فصفة الخيانة لا تثبت لله مطلقاً بدون تفصيل؛ لأنّها نقص دائماً، بخلاف المكر والكيد والخداع والاستهزاء؛ فهذه في مقابلة الفاعل لهذا الشيء؛ هي كمال، أمّا عند الإطلاق فلا تجوز في حقّ الله سبحانه وتعالى.

فصارت الصفات ثلاثة أقسام:

1- [الأنفال:30]

2- [الطارق:16]

3- [الأعراف:183]

4- {النساء:142}

5- {البقرة:15}

6-{الأنفال:71}

- القسم الأول: صفات كمال مطلقاً؛ وهذه تثبت لله.
- القسم الثاني: صفات نقص مطلقاً؛ وهذه تنفى عن الله سبحانه وتعالى.
- القسم الثالث: صفات هي صفات نقص في حال، وصفات كمال في حال؛ نفس الصفة تكون نقصاً في حال وتكون كمالاً في حال؛ فهذه يُفصّل القول فيها على ما ذكرنا سابقاً.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁.